الفسيفساء البيزنطية باب رزق لأردنيين ولاجئين سوريين

مشروع ترميم كنيسة يوحنا المعمدان ضمن خطة واسعة لحفظ التراث في الأردن

ينكب حوالي ثلاثمئة عامل من الأردنيين والسوريين ربعهم من الفتيات على تجميل فسيسفاء أرضية كنيسة في شمال الأردن يعود تاريخها إلى القرن السابع، المشروع الذي كان باب رزق للبعض الذين يعملون بصبر وتأنّ يعد جزءا من خطة واسعة لإحياء التراث في الأردن.

هوية وتراث

رحاب، المفرق (الأردن) – يجثو السوري وليد العوض وزميله الأردني طه الخزاعلة على ركبتيهما منهمكين في استعادة رونق أرضية من الفسيفساء البيزنطية في كنيسة من القرن السابع في رحاب بشمال الأردن.

ويعمل الرجلان ضمن برنامج لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة "يونسكو" وفّر منذ انطلاقه عام 2019 نحو 300 فرصة عمل بدعم من الحكومة الألمانية ويهدف إلى المساهمة في محاربة الفقر والبطالة إضافة إلى حفظ التراث.

ويعمل العوض (45 عاما) الذي خسر بيته وكل ما يملك في درعا في جنوب سوريا عام 2012 بعد فراره من الحرب في بلده إلى الأردن، وزميله الخزاعلة (32 عاما) الذي يقطن رحاب في محافظة المفرق (نحو 70 كيلومترا شمال عمان) بدقة على ترميم الأرضية في كنيسة يوحنا المعمدان التي بنيت عام 619 ميلادي.

ويطرق الاثنان قطع حجارة صغيرة بألوان بينها البني والأسود بمطرقة صغيرة وبدقة متناهية ويضعانها على أرضية الفسيفساء ثم ينظفان حولها بعناية بمشرط وقطعة من الإسفنج.

وتضم الفسيفساء أشكالا هندسية وأخرى تمثل نباتات ونهري دجلة والفرات، كما توجد كتابة باليونانية فيها "أرضية الكنيسة رصفت وأهديت إلى القديس يوحنا المعمدان على نفقة المال العام المقدّم من الأهالي".

ويعمل العوض والخزاعلة مع أردنيين وسوريين آخرين في ترميم فسيفساء المجمع الكنسي الذي يضم أيضا كنيسة الأسقفين بروكوبيوس وسيرجيوس المبنية عام 590 ميلادي.

ويشرف الخبير الإيطالي فرانكو شوريللي (54 عاما) على ترميم الموقع منذ أكتوبر 2020 على أن يكتمل العمل نهاية مايو المقبل.

ويقول شوريللي الذي يتقن العربية واللهجة الأردنية لإقامته في الأردن منذ عام 1994 ودرّب حتى اليوم أكثر من 500 شخص، إن فسيفساء رحاب "كنز" يحتاج إلى المزيد من الاهتمام.

ويضيف أن الأردن هي "الدولة الأولى في حوض البحر المتوسط وفي العالم كله من حيث عدد أرضيات الفسيفساء خصوصا البيزنطية".

ويوضح أن "الفسيفساء هنا بسيطة وأسلوبها خاص بالمنطقة ومختلفة عمّا نراه في الخارج. يجب أن نعرّف العالم عليها".

وأنجز فريق العمل ذاته الشهر الماضي ترميم فسيفساء كنيسة القديسة مريم التي بنيت عام 543 ميلادي في رحاب أيضا.

وتقول كبيرة مسؤولي المشروع في اليونسكو جورجيا شيزارو "المشروع بالغ الأهمية لأنه يمثّل تغييرا في نهج حماية التراث".

وتضيف "إنه يأخذ بالاعتبار وضع السكان قرب المواقع الأثرية، والفكرة هي تدريبهم على حماية تراثهم".

وتضم قرية رحاب 32 كنيسة أثرية، خمس منها فقط تظهر بقاياها للعيان بينها كنيسة القديس جاورجيوس المبنية عام 230 ميلادي والتي تعد من أقدم كنائس العالم بينما تغطي الرمال الأخرى. وهُجرت تلك الكنائس التي اكتشف معظمها بين عامي 1999 و2002 تدريجيا منذ العصر الأموي وحتى القرن التاسع.

ويقطن المفرق نحو 550 ألف شخص بينهم 165 ألف سوري ثمانون ألفا منهم في مخيم الزعتري.

وتقدم نحو 600 شخص للعمل في المشروع اختير نصفهم تقريبا. ويشكل الأردنيون 70 في المئة من العاملين في البرنامج والسوريون 30 بالمئة بينما تمثل الإناث 20 في المئة.

وتقول مسؤولة المشاريع في قسم الثقافة في "يونسكو" دانيا ديراني إن للمشروع "هدفين أساسيين هما أولا حفظ التراث (...) وثانيا توفير فرص عمل لأهل المنطقة".

ويتم اختيار الأشخاص وفق تقييم من ناحية عدد أفراد الأسرة ودخلها وحاجتها و"الأكثر حاجة هم الذين يحصلون على العمل".

وبحسب ديراني تم تدريب هؤلاء وتثقيفهم حول "تاريخ الموقع والكنيسة والفسيفساء وأهمية العمل ثم آليات العمل وحفظ الفسيفساء والخلطات المستخدمة والترميم".

> **الأردنيون يشكلون 70 في المئة من العاملين في المشروع والسوريون 30 في المئة، بينما تشكل الفتيات 20 في المئة**

وتتراوح الأجور بين 12.5 دينارا (17.6 دولارا) يوميا و15 دينارا، إضافة إلى وجبات الطعام والمواصلات. ويفخر العوض بعمله ضمن مشروع "فرص العمل لصون التراث الثقافي في الأردن"، قائلا "هذه معالم تاريخية يجب الحفاظ عليها وصيانتها وترميمها، أنا سعيد وفخور بأنني جزء من هذا العمل".

ويضيف الرجل الأسمر الذي ارتدى زيا أزرق وكمامة سوداء "المشروع أنقذ وضعي المادي، إذ ليس هناك عمل"، مشيرا الى أن لديه ستة أطفال أصغرهم طفلة بعمر أربع سنوات وأكبرهم شاب بعمر 18 عاما.

ويتابع "نحن لاجئون والعائلة كبيرة ومصروفها كبير. إيجار البيت تقريبا 100 دينار (نحو 141 دولارا)". وهو يتقاضى من المشروع نحو 300 دينار (423 دولارا) شهريا.

من جهته يقول الخزاعلة ذو الشعر الأسود الداكن والذي حصل على دبلوم عال في فن وترميم الفسيفساء من معهد مأدبا عام 2016 إنه اكتسب "مهارات وخبرة أكبر".

ويضيف الرجل الأعزب الذي يقطن في رحاب مع عائلته "لم تكن هناك فرص عمل والظروف صعبة جدا"، مشيرا إلى أنه فرح بالعمل ضمن تخصصه.

وبلغ معدل الفقر وفق الأرقام الرسمية في الأردن في خريف 2020 نحو 15.7 في المئة.

وارتفع معدل البطالة عام 2020 ليصل إلى نحو 23 في المئة في بلد تجاوز دينه العام 102 في المئة من الناتج الداخلي.

وتوجد في الأردن مواقع عديدة تضمّ لوحات فسيفساء في مدن جرش وأم قيس وعجلون (شمال) ومأدبا والبتراء (جنوب) وأم الرصاص (وسط).

وتشير شيزارو الى أن المشروع الحالي يمهد الطريق لمشروع أكبر للحفاظ على التراث في ستة مواقع في شمال الأردن، وتتوقع أن يوفر أكثر من ألف فرصة عمل لمدة عامين.

هل يفوز الغجر في إسبانيا بالحياة الكريمة

مدريد – درس جوليان بورغا هيرنانديز بجد لتفادي المعاناة التي واجهها والده أثناء كسب قوت يومه في السوق. وهو الآن يعمل في نفس كشك أبيه، قائلا "إن آفاقه المهنية تعثرت فقط لأنه من أقلية الغجر المهمّشة في إسبانيا".

ويُلقي هيرنانديز باللوم في محاولاته الفاشلة في البحث عن عمل على التمييز العنصري الراسخ إزاء الغجر، وهي وصمة عار يرى أنها متأصلة منذ قرون لجهة الاضطهاد والتحيز الشعبي اللذين تُصمّم موجة جديدة من الناشطين الغجر على القضاء عليهما.

> **مجلس أوروبا من أجل حقوق الإنسان يحدد التعليم والتوظيف كمجالين رئيسيين للتمييز المستمر ضد الغجر في إسبانيا**

ونال اقتراح يهدف إلى معالجة عدم المساواة التي يعاني منها الغجر في إسبانيا على دعم برلماني متعدد الأحزاب في نهاية العام الماضي، مما بعث موجة من التفاؤل داخل مجتمع عاش في مدريد لأجيال ولا يقل عن مليون شخص، وفقا لبعض التقديرات، لكنه لا يزال يعاني من نسبة بطالة عالية وفقر مدقع ويعيش في مساكن غير لائقة.

ويسعى الاقتراح الجديد إلى وضع ميثاق حكومي لمكافحة التمييز ويطرح مجموعة من التدابير، بما في ذلك تحسين الوصول إلى التعليم، ووضع حدّ لمدن الأكواخ وتسمية "مناهضي الغجر" في القانون الجنائي للبلاد.

وعلى الرغم من أن إطار العمل ليس ملزما قانونيا، إلا أن الحكومة يجب أن ترد في غضون ستة أشهر، كما يقول إسماعيل كورتيس، وهو أحد ثلاثة نواب غجر في البرلمان، حيث يعدّ وجودهم الأكثر على الإطلاق في هذه المؤسسة.

وقدّم الشاب البالغ من العمر 35 عاما الاقتراح ويأمل في أن تتم الموافقة على لجنة التمييز والإدماج في مطلع مارس.

وقال كورتيس "هناك شعور بأن الزمن يتغير وبدأ المزيد من الأشخاص من مجتمع الغجر يتجرأون على دخول عالم السياسة والتعبير عن مواقفهم".

وتابع "منذ خمس أو ست سنوات تحدثنا كثيرا عن الفقر، الآن يتحدث الناس أكثر عن التمييز والتمثيل ومعاداة الغجر".

ويعتقد كورتيس أن العنصرية المنهجية ضد الغجر في إسبانيا متجذرة منذ قرون في التشريعات العقابية، بما في ذلك القيود على الأماكن التي يمكنهم العيش فيها والسفر إليها والاعتقالات الجماعية.

ولم ينته التمييز القانوني ضد المجتمع إلا في 1978، عندما انتقلت إسبانيا إلى الديمقراطية بعد وفاة الدكتاتور فرانسيسكو فرانكو. فحتى ذلك الحين كانت الشرطة ملزمة بمراقبة مجتمع الغجر.

وقال كورتيس إن الإدارات المتعاقبة غضّت بصرها عن التحيز الدائم منذ ذلك الحين، مؤكدا أن الغجر يعاملون كسكان من الدرجة الثانية.

وبالنسبة إلى بورغا هيرنانديز، يعني التمييز أن أفراد الأمن يتتبعونه بشكل روتيني في السوبر ماركت ويتعرّض للتفتيش بشكل متكرر، لكن رفض أصحاب العمل المستمر له ترك ندبة عميقة.

ويبلغ هيرنانديز من العمر 38 عاما، وهو أب لطفلين، وولد في مدريد وعاشت عائلته في إسبانيا لأجيال، ويبيع الملابس كما كان والده سابقا ويتقاضى بين 650 و800 يورو (800 دولار) في الشهر الذي تكون فيه المبيعات مرتفعة.

واستسلم للحياة كتاجر في السوق بعد أن حاول العثور على وظائف أخرى، سواء كان ذلك في المتاجر أو الحانات.

وقال "عرضت عليّ وظيفة ذات مرة عبر الهاتف كسائق شاحنة يجمع الأموال من ماكينات القمار. إذ لم يتمكنوا من معرفة أنني غجري من صوتي. وفي الأسبوع التالي ذهبت إلى المكتب. وبمجرد أن رأوني، بدأوا يقولون إن الوظيفة لم تعد متاحة. لم يقولوا مباشرة إن السبب هو أنني غجري، لكن السبب كان واضحا من نظرة المفاجأة على وجوههم".

وسبّب له هذا الحادث الذي تعرض له عندما كان في أوائل العشرينات من عمره الاكتئاب. وشعر بأنه "الآخر" في المجتمع.

وقال إيناكي فاسكويز أرنكون، مدير بلاتافورما كيتاني، وهو اتحاد يضم أكثر من 20 منظمة غجرية، إنه بينما اختار المجتمع تاريخيا الوظائف التي "تحافظ على استقلاليتهم"، فقد تأثروا بالردود التي واجهوها إذا ابتعدوا عن التقاليد.

وتابع "عندما يسعى شخص غجري إلى ما يسمّى وظيفة عادية، فإنه كثيرا ما يواجه حاجزا معاديا".

وفي 2019، وجد تقرير صادر عن مؤسسة المنظمات الغجرية غير الحكومية الإسبانية، أن أكثر من نصف السكان الغجر كانوا عاطلين عن العمل، وهي نسبة تمثل ثلاثة أضعاف المعدل الوطني.

ومن بين أولئك الذين يشتغلون، كان حوالي نصفهم يعملون لحسابهم الخاص، وغالبا في السوق. ويلعب نقص التعليم الجيد دورا في هذا.

وبينما تمكن هيرنانديز من إكمال التعليم الإلزامي، إلا أن أقل من خمس طلاب غجر ينجحون في ذلك، وفقا لتقرير مؤسسة المنظمات الغجرية. ويشعر الكثير منهم بالنفور بسبب نظام الفصل العنصري.

وأدى وباء كورونا إلى تفاقم عدم المساواة، حيث كافح الطلاب الغجر للوصول إلى التعلم عبر الإنترنت.

وقال هيرنانديز إن أطفاله أنجزوا كل عملهم باستخدام الهاتف المحمول عندما كانت المدارس مغلقة لأن الأسرة تفتقر إلى جهاز كمبيوتر.

وحدد مجلس أوروبا، الذي يكافح من أجل حقوق الإنسان في جميع أنحاء القارة، التعليم والتوظيف كمجالات رئيسية للتمييز المستمر ضد الغجر في إسبانيا ودعا إلى تقديم تشريع محدد لمكافحة التمييز لحماية المجتمع.

وذكر تقرير للأمم المتحدة في 2020 أن هناك حاجة إلى "استجابة على مستوى الأزمة"، حيث انحدرت أجزاء كاملة من السكان إلى الدرجة الثالثة.

وفي هذه الأثناء، يحوّل هيرنانديز تركيزه إلى البحث عن عمل مرة أخرى، خوفا من أن الوباء قد يؤدي إلى نهاية باعة الشوارع.

وتضم صفحاته على إنستغرام وفيسبوك ويوتيوب، والتي ينشر فيها مقاطع فيديو موسيقية ونوادر مضحكة بالإضافة إلى تعليقات حول مجتمع الغجر، الآلاف من المتابعين الذين يشاركون آراءهم وخبراتهم.

وقال "أريد التحدث إلى مجتمعي. أريد أن أمنع الكثيرين من الشعور بالوحدة".

فقر وفاقة